لو نالت مصر قسطها منها لاستنارت العقول ووقفت البلاد على حقيقة سر الحياة الاقتصادية أشربت معرفة جمع الثروة الحقيقية الثابتة وحسن التعقل في صرفها .

صحف منسية

نثر ابن زيدون

كتب ابن زيدون من قرطبة الى ابن مسلمة باشبيلية قبل تحوله اليها

ياسيدي وارفع عددي . واول الذخائر في تعددي . واخطر علق ملأت من اقتنائه يدي . ومن ابقاه الله في عيشة باردة الظلال . ونعمة سابغة الاذيال . قد تناصر الثناء عليك . وتوالى الحديث الحسن عنك . حتى حللت محل الامانة . وكنت موضع تقليد الوطر واثبات الطوبة . والله يمتعك بما حازه لك من الخير . ووفره عليك من طيب الذكر .

في ملك اعزك الله ما تقتضيه العطلة من اطلاق الخاطر وصداء النفس ويجنيه طول المقام من إخلاق الدبباجة وارخاص القدر وقد رأيت ان اجتني ثمرة من آداب اطلت الاعتناء بها . واخلاق ادمت رياضة الانفس عليها . ولما فحصت الملوك وجدت عميدهم الذي انسى السالف قبله . ونقدم الراهق (؟) معه . واتعب العابر بعده . الحاجب فخر الدولة مولاي . ومن اطال الله بقاءه . وكبت اعداءه . بما خصه الله به من سناء الهمم . وشماخة الشيم . وانتظام اسباب الرياسة . وكمال آلات السياسة . واجتماع المناقب التي افردته من النظراء . واعلته عن مراتب الاكفاء . فرأيت قبل ان احمل لغيره نعمة . واوسم ممن سواه بصنعة . ان اعرض نفسي مملوكته عليه عرض من لا يؤهلها لاجازته الا بالاستجازة ولا يطمع لها في قبوله الا مع المسامحة . فلو كنت الوليد بن عبيد براعة نظم . وجعفر بن يحيى بلاغة نثر . وابراهيم بن المهدي طيب مجالسة . وامتاع مشاهدة . ثم حضرت بساطه العالي لما كنت مع سعة احاديثه الا في جانب التقصير وتحت عبدة النقصان غير انه لا يعدم مني نجابة غرس اليد واصابة طريق المصنع من ولاية أخلصها . ونصيحة أنحضبها . وشكر اجنيه الغض من زهراته . وثناء أهدي اليه العطر من نفحاته . فنهضت اليك هذه السفارة . واعتمدتك بتكليف النيابة . لوجوه منها حظوتك لديه . ومكانتك منه . سوغك الله الموهبة في ذلك وانهضك باعباء الشكر لها ومنها سرو مذهبك . وكرم سجيتك . وصحة مشاركتك لمن يستوجبها استيجابي . ولا استدعاها بمثل اسبابي . من تداني الجوار . وتصافي السلف

والانتماء الى آصرة الادب. فان وافقت السانحة الارادة لحظ أقبل . وعبد بلغ من سيده ما امّل. ولم افل عمرك الله كما قيل في النجمين . بل قلت وقد يجمع الله الشتيتين . وان عاق حرمان عادته ان يعوق عن الظفر و يعترض دون الامل فأعلمه ابده الله اني في حال العطلة مع غيره والتصرف . و بومي الايطان والتطوف . كالمهتدي بالنجم حين عدم ذكاء ومتيمم الصعيد اذا لم يجد الماء .

فان اغشَ قوماً غيره او ازرهم فكالوحش يدنيه من الأنس المحل

والله يتولاه بالنصيحة في عمره . والاعلاء لامره . و يصرف الاقدار مع ايثاره . و يصرف وجوه التوفيق الى اختياره . ولك ياسيدي في انتدابك كما ندبتك له ما للساعي النجح من الشكر . او للمجتهد البالغ من العذر . وملاك الامر تقديم المراجعة للايجاب فاسكن اليه . والجواب فاعتمد عليه . وأهدي اليك ندى الغض الناضر من سلامي والارج العطر من تحيتي . اه

وله رسالة خاطب بها ابا مروان بن حيان المؤرخ المشهور قال في فصل منها وقد اهداه احمالاً من الزيت والبر في سنة نحلة .

والذي اسكن اليه من حسن قبولك . وجميل تأويلك . اقابل بالحقير . واواجه بالتافه اليسير . و يعلم الله تعالى اني لو تاحفتك (قاسمتك ؟) عمري ما رأيت ان ذلك كفوء لقدرك . ولا وفاء ببرك . فكيف ما دونه فلك المنزلة التي لا تسامى . والجلالة التي لا توازى . وما شيء وان جل الا محتقر لك مستصغر عند محلك . و يصل مع موصل كتابي هذا ما ثبت ذكره في المدرجة طيه وانت بتعاليك تتفضل بقبوله وتصل اجمل صلة بالتغاضي عن رثاثته . والاستجازة لنزارته . مقتضياً بذلك شكري وحمدي ومستبدأ منهما بجميع ما عندي . اه

وقد راجعه ابن حيان برقعة يقول فيها : ان تفجأة المسرات الباغتة لآمال النفوس الحائمة صدمات تذهل الجنان وتعقل اللسان فمن فرح النفس ما يقتل ومن باهر الصنع ما يذهل . ولا كمثل ما فاجأتني به من فضلك المبتدر ميقانه على وفاض من الازودة وخمود من المصابيح وضغطة من الظنون المخوفة لنكد السنا لم يشغلك عن جودك شاغل حتى قضيت نذرك فيّ لاول وقته ولم ترض بعادتك المتكلفة لي بشأن الدين حتى تحملت عني ثقل القوت فطرقني فطار هديتك الفاجئة غداة اصبحت فيها منفضاً من الزاد مستوفزاً للارتياد فكنت دهشاً فرحاً واستحال بياني بلها حتى نوّلت كتابك الكريم . فطرت في لآليه فنالني به اهتزاز لذكرك وارتياح لقولك فجوزيت جزاء المحسنين بما ارحت من فكري فكشفك في اديم

يوم همّ عام مع انك قبلت شكري فلا فضل فيه لمقابلة معروفك الا بامحاض الدعاء لك في حراسة مهجتك ودوام نعمتك واستبصار الملك الاعلى عميد الورى مستكفيك في حسن رأيه فيك اعاذك من عين الكمال ووقاك طوارق الايام والليال وحفظ على زماننا ما فيك من كرم الخلال وانهضك بما التزمته من احناث من اقسم في عصرنا ان اجود عدم لا ينال بمنه وبمنه اه . وقد طوينا في هذه الرسالة بعض الفاظ لسقم النسخة المنقول عنها .

شعر ابن زيدون

في دار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة خطية من ديوان بحتري المغرب ابن زيدون وقع في ١٠٧ ورقات صغيرة تغلب عليه الصحة في الغالب ولم يذكر فيه تاريخ ليعرف به الزمن الذي كتبت فيه وقد كتب في آخره مانصه : تم شعر ذي الوزارتين ابي الوليد احمد ابن زيدون وشعر الملكين والحمد لله وحده.

وان خير ما يقرظ به ديوان صاحب قصيدة « اضحى التنائي بديلاً من تجافينا » التي بعث بها الى ولادة بنت المستكفي بالله ان يكتفي بنقل شذرات منه تدل على مبلغ ذاك الشعر من العراقة في الحضارة والرقة . وقد اتصل بنا ان اديباً من دمشق قد مثل هذا الديوان البديع للطبع او كاد ولا شك ان اصحاب القريض سيسرون بنشره بينهم .

قال ابن زيدون يمدح ابا الوليد بن جهور احد ملوك الطوائف وهي اول ديوانه

هذا الصباح على سراك رقيبا ... فصلي بفرعك ليلك الغربيبا (١)
ولديك امثال النجوم قلائد ... الفت سماءك لبسة وتريبا
لينب عن الجوزاء قرطك كلما ... جنحت تحث جناحها تغريبا
واذا الوشاح تعرضت اثناؤه ... طلعت ثريا لم تكن لتغيبا
ولطالما ابديت اذ حييتنا ... كفاً هي الكف الخضيب خضيبا
اظنينة دعوى البراءة شأنها ... انت العدو فلم دعيت حبيبا
ما بال خدك لا يزال مضرجاً ... بدم وخطك لا يزال مريبا
لو شئت ما عذبت مهجة عاشق ... مستعذب سيف حبك التعذيبا

---

(١) قوله * فصلي بفرعك ليلك الغربيبا * من قول ابي الطيب

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فارت لياليَ اربعا

وينظر اليه ايضاً قول المعري

يود ان ظلام الليل دام له ... وزيد فيه سواد القلب والبصر (ذخيرة)

ولزرته بل عدته ان الهوى مرض يكون له الوصال طبيبا
ما الهجر الا البين لولا انه لم يشجُ فاه به الغراب نعيبا
ولقد قضى فيك التجلد نحبه فنثوى واعقب زفرة ونحيبا
وارى دموع العين ليس لفيضها غيض اذا ما القلب كان قليبا
مالي وللايام جَّ مع الصبى عدوانها فكسى العذار مشيبا

وقال مع تفاح اهداه الى الوزير الاجل محمد بن جهور

اتتك بلون الخيب الخجل مخالط لون المحب الوجل
ثمار تضمن ادراكها هواء احاط بها معتدل
تأتى لالطاف تدريجها فمن حر شمس الى برد ظل
الى ان تناهت شفاء العليل وانس المشوق ولهو الغزل
فلو تجمد الراح لم تعدها وان هي ذابت فخمر تحل
لها منظر حسن في العيون لدنياك لكنه منتقل
وطعم يلذ لمن ذاقه كلذة ذكراك لو لم تُمل
وريا اذا نفحت خلتها تملي ثناك او تستهل
يثل ملمسها للاكف لين زمانك او يمتثل
صفوت فادللت في عرضها ومن يصف منه الهوى فليدل
قبولكها نعمة غضة وفضل بما قبله متصل
ولو كنت اهديت نفسي اخ تصرت على انها غاية المحتفل

وكتب الى الاديب ابي بكر مسلم بن احمد رسالة يتنصل بها

شحطنا وما للدار نأي ولا شحط وشط بنى نهوى المزار وما شطوا
اءاحبابنا الوت بحادث عيدنا حوادث لا عقد عليها ولا شرط
لعمركم ان الزمان الذي قضى بشت جميع الشمل منا لشتط
واما الكرى مذ لم ازركم فهاجر زيارته غبٌّ والمسامه فرط

الى ان يقول وهو مما ذكر له في القلائد

عدا سمعه عني واصغى الى عدى لهم في اديمي كلما استمكنوا عط
بلغت المدى اذ قصروا فقلوبهم مكامن اضغان اساودها رقط
يولونني عرض الكراهة والقلى وما دهرهم الا النفاسة والغبط
وقد وسموني بالتي لست اهلها وذُيّن امثالي بامثالها قط

فورت فان قالوا الفرار أرابه فقد فرّ موسى حين همّ به القبط

وقال وهو السحر الحلال

ساحب اعدائي لانك منهم يامن بهم بقلبه ويسقم
اصبحت تسخطني وامنحك الرضى محضاً وتظلمني فلا انتظم
يامن تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيء مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة لوانني اشكو الى من يرحم

وله سقى الغيث اطلال الاحبة بالحمى وحاك عليها ثوب وشي منمنما
واطلع فيها للازاهير انجما فكم رفلت فيها الخرائد كالدما
اذ العيش غض والزمان غلام

اهيم بجبار يعز واخضع شذا المسك من اردانه يتضوع
اذا جئت اشكوه الهوى ليس يسمع فما انا في شيء من الوصل اطمع
ولا ان يزور المقلتين منام

قضيب من الريحان اثمر بالبدر لواحظ عينيه ملين من السحر
وديباج خديه حكى رونق الخمر والفاظه في النطق كاللؤلؤ النثر
وريقته في الارتشاف مدام

سقى جنبات القصر صوب الغمائم وغنى على الاغصان ورق الحمائم
بقرطبة الغراء دار الاكارم بلاد بها عقّ الشباب تمائمي
وانجبني قوم هناك كرام

فكم لي فيها من مساء واصباح بكل غزال مشرف الوجه وضاح
يقدم افواه الكؤوس بتفاح اذا طلعت في راحه انجم الراح
فانا لاعظام المدام قيام

ويوم لدى البنى (؟) في شاطيء النهر تدار علينا الراح في فتية زهر
وليس لنا فرش سوى يانع الزهر يدور بها عذب الثنا اهيف الخصر
بفيه من الشعر الشنيب نظام

ويوم بحوحي (؟) الرصافة مبهج مررنا بروض الاقحوان المدبج
وقابلنا فيه نسيم البنفسج ولاح لنا ورد بخد مضرج
تراه امام النور وهو امام

واكرم بايام العفاف السوالف وهو اثرناه بتلك المعاطف

بسود اثيث الشعر بيض السوالف اذا رفلوا في وشي تلك المطارف
فليس على خلع العذار ملام

وكم مشهد عند العقيق وجره فتدنا على حمر النبات وصفره
وظبي يسافينا سلافة خمره حكى جسدي في السقم رقة خصره
لواحظه عند الدنو سهام

فقل لزمان قد تولى نعيمه ورثت على مر الليالي رسومه
وكم رق فيه بالعشي نسيمه ولاحت لساري الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام

وله وقد قال فيها صاحب الذخيرة انه كتب بها من بطليوس ايام تكدره عليها وهي من غرر نظامه ودرر كلامه

يادمع "صب" ما شئت ان تصوبا ويافؤادي آن ان تذوبا
ان الرزايا اصبحت ضروبا لم ار لي في اهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا ندوبا في الغرب اذ رحت به غريبا
عليل دهر سامني تعذيبا ادنى الضنا اذ ابعد الطبيبا
ليت القبول احدثت هبوبا ريح يروح عهدها قريبا
بالافق المهدي الينا طيبا تعطرت منه الصبا جنوبا
يبرد حر الكبد المشبوبا يامتبعاً إساءه التأويبا
مشرقاً قد سئم التغريبا اما سمعت المثل المضروبا
ارسل حكيماً واستشر لبيبا

اذا اتيت الوطن الحبيبا والجانب المستوضح العجيبا
والحاضر المتفسح الرحيبا فحي منه ما رأى الجنوبا
مصانع تجاذب القلوبا حيث الفت الرشأ الربيبا
مخالساً في وصله الرقيبا كم بات ليلي بدره الغريبا
لما انثنى في سكره قضيبا تشدو حمام حليه تطريبا
هصرته حلو الجنى رطيبا ارشف منه المبسم الشنيبا
حتى اذا ما اعتنت لي مريبا شباب افق همّ ان يشيبا
بادرت سعياً هل رأيت الذيبا(١) اهاجري ام موسعي تأنيبا

(١) اخذه من قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط وهذا

من لم أسغ من بعده مشروبا ما ضره لو قال لا تثريبا
ولا سلام يلحق القلوبا فلا سلام لحق المقلوبا
قد طال ما تجرّم الذنوبا ولم يدع في العذر لي نصيبا
ان قرت العين بان اوّبا لم آلُ ان استرضي الغضوبا
حسبي ان احرم المغيبا قد ينفع المذنب ان يتوبا

وقال ولما التقينا للوداع غدية وقد خفقت في ساحة القصر رايات
وقربت الجرد العتاق وصفقت طبول ولاحت للفراق علامات
بكينا دماً حتى كأن عيوننا يجري الدموع الحمر منها جراحات
وكنا نرجي الأوب بعد ثلاثة فكيف وقد كانت عليها زيادات

مطبوعات ومخطوطات

المانيا الحديثة ونشؤها

صدر هذا الكتاب النفيس في الشهور الاخيرة باللغة الافرنسية من قلم المسيو هنري ليشتنبرجي من اساتذة كلية السوربون في باريز وهو في نحو اربعمائة صفحة تلونا في مسطوره آثار عظمة الامة الجرمانية وارتقائها في آدابها وعلومها وصنائعها واخلاقها واوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في خلال القرن التاسع عشر كل ذلك مكتوب بلسان الانصاف البحت اوحاه العلم الذي لا ينطق صاحبه من جانب القلب بعامل هوى النفس واملاه التمحيص الذي يتوفر عليه علماء الغرب اذا اخصوا في فن من الفنون وارادوا ان يضعوا فيه المصنفات الممتعة النافعة . وقد عددنا الظفر بهذا الكتاب نعمة لانا كنا نعرف درجة ارتقاء الالمان معرفة سطحية وذلك لان من اخلاق هذه الامة بل من اخلاق الامم السكسونية كالانكليز والاميركان ان لا يعمها التظاهر بعظمتها الحقيقية الا بعد ايراد الدلائل الحسية على ذلك وظهور نتائج الاعمال بالطبع .

ومما استفدناه منه ان الالمان لم يكتفوا بنزول بلادهم بل هم منتشرون في جميع بلاد اوربا ولا سيما فيما وراء تخومها من الجهات الاربع فقد كان سنة ١٩٠٠ في بلاد النمسا

التشبيه عند اهل النقد نوع من انواع الاشارة لانه اشار الى تشبيه لونه بلون الذئب بسبب شوبه بالماء الذي غلب على اللبن (الذخيرة)